محاضرة رقم 06

1- الفن التشكيلي الجزائري إيديولوجيا وتراثا:

إن الفن التشكيلي الجزائري يمثل منهل ابتكار إنساني متفرد الوجود، بمعنى لا يجاريه فن آخر في خصوصية مواضيعه وتشعب مسارب قضيته السياسية والاجتماعية والانسانية التي كانت معاشة أثناء الاستعمار الفرنسي. وميادين السرد البصري (الفني التشكيلي) سواء من حيث ذاكرة مكانته البصرية، وحصاد المخيلة والواقع المعاش، وما تشمله من حفريات المعاني والمعرفة.(يرسم آفاقًا واسعة لتضاريس جغرافية جديدة وآليات سرده البصري والتقني في مختلف واحات الابتكار الابداعية المتاحة شكلا ومضمونا وفلسفة فن وجمال وتقنيات). كما تعبر عن تاريخ الجزائر من خلال الصور التي تمثل على سبيل المثال الشهداء والمعتقلين وجرحى الحرب بأدوات تعبيرية بسيطة وهادفة، باعتباره فنا يكرس حلة من التوافق الايديولوجي لمعيار السياسة والمقاومة والتراث، تمثل نبضًا ثقافيًا حافلاً بالرموز والدلالات، ولمسة حضارية وكفاحية لا يمكن تجاهلها في ساحة الابداع الجزائري.

هذا الفن التشكيلي الجزائري الذي أفسح المجال لبروز ملامح ابتكار متنوعة ومبشرة بولادة خصوصية فنية تشكيلية، تمكن للمتلقي من معايشة بصرية وفهم مضامينه بسهولة ويسر. كفن معبر عن واقع شعب مجبول بالمعاناة والكفاح والصمود الانساني والامل متعدد الصور والاشكال. يقدمها الفنانون التشكيليون الجزائريون الموزعون في كامل القطر الجزائري وفي الخارج، في ألواح بصرية حافلة بفقه المعاني(الافكار) والمحتوى الموضوعي(الأشكال) وطرائق السرد (المدارس أو الاتجاهات) جعلت من فنهم حالة خاصة ومتميزة في الخارطة الفنية.

2- التأثيرات الداخلية والتراثية على الفن التشكيلي:

من الطبيعي أن يكون للتراث تأثيرات على الثقافة المعاصرة، خاصة العربية، وبالتالي على الفن العربي التشكيلي المعاصر، مثلما له تأثير على التفكير والإبداع والسلوك والتعامل عموما، وقد يشدد الناقد د.صلاح فضل على أن الإبداع يحمل الطابع القومي منطلقا من وحدة الأمة جذورا وثقافة ومصيرا، وهذا شبه اجماع بين المثقفين وإن عارض بعضهم هذه الرؤية، مثلما تفاوتت الاختيارات والأولويات من بدائل التعامل مع التراث، الاصطفاء والتحديد والتقديس ومن المتوافق عليه أن التراث يؤمن الأسس للهوية الوطنية، ويكون مرجعا للذاكرة وللروح لإيجاد التوازن مع نوعية الحياة، هناك ميل اليوم إلى فهم المصادر التراثية بشكلها الواسع على أنها عاملات توقف نشاط الإنسان وإنجازاته عبر التاريخ.

انتقد د.هادي نعمان الهيتي عرب اليوم لأنهم يفكرون بالماضي كلما اتجهوا بأنظارهم إلى المستقبل، ورأى أنه من المستحيل على عرب اليوم أن يجدوا طريقا إلى المستقبل مالم يجدوا طريقا إلى الماضي، إذ أن حاضرنا المثقل باتجاهات مسبقة وأفكار جاهزة وقوالب نمطية يفتقر إلى عمليات فكرية أساسية، أهمها في رأيه تنظيم الفكر من أجل الوصول إلى تعميمات يمكن الأخذ بها فكريا وعلميا، ثم القدرة على إعادة التفسير وصولا إلى قوانين وقواعد حول مختلف الظواهر الطبيعية والإنسانية، والارتقاء بالوعي عبر الثقة بالمستقبل ونبذ الأوهام التي تعطل غرس التطلع والأرامل من خلال مراجعة التراث الثقافي.

إن من المتفق عليه عموما على نطاق واسع، أن الواقع التراثي بأبعاده الاجتماعية التاريخية، السياسية والبيئية ...، هو من أهم مصادر الإبداع التشكيلي، وخاصة في حالتنا، التي يشكل فيها التراث عنصرا رئيسا في تكوينها وبيئاتها ومنطلقاتها، لهذا فإن الفن التشكيلي العربي، مهما ابتعد انجذابا إلى بيئة أخرى وأياما كانت الأسباب أو الظروف أو الذرائع، سرعان ما يعود على ذاته الحضارية، ليعيش الراهن والتطلعات.

قال المؤرخ نيقولا زيادة أن العرب أمة انتهجتها ثلاث عوامل: العنصر، الرقعة، والتاريخ، هنا نطبق من ناحيتنا بقوة عاملين رئيسين لا عروبة بدونهما هما الإسلام كعقيدة ،واللغة بمعناها الواسع كثقافة لا مجرد أداة تخاطب، فالمشترك الروحي والعقيدي من ناحية، والعمق الثقافي العربي من ناحية ثانية هما قطبا المحور الحي المتحدد والفاعل للهوية العربية.